الحديث الثامن

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حتَّى يَشْهَدُوا أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ، ويُقِيمُوا الصَّلَاةَ، ويُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذلكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ إلَّا بحَقِّ الإسْلَامِ، وحِسَابُهُمْ علَى اللَّهِ.)

متفق عليه.

الجهاد وهدفه والشبهات حوله

الجهاد:- بذل الأموال والأنفس لغرض وصول الهداية إلى الناس، وألا يُحال بين الناس وبين الهداية.

لذلك الجهاد من أعظم محاسن الإسلام فهو يوفر للإنسان أعظم الحقوق على الإطلاق.

- لا تُضغط من التفكير في الجهاد فمن وضعه هو واضع القوانين خالق السماوات والأرض، وهدفه الأسمى هو الحرية في اختيار الدين دون تشويه.
- حتى وإن دخل المسلمون البلاد بالجهاد ونشروا الإسلام لا يجبرون أحد على الإسلام وهذا غير مقبول فلا إكراه فى الدين.
- فلو أن إنسان دخل الإسلام مُكرهًا سيبطن الكفر ويظهر الإسلام وبهذا سيكون منافق ولن يدخل الجنة لأن المنافق أسوء من الكافر.

شرح معاني الحديث

قول النبي ﷺ «أُمرت»:

تعلمك أن تتحرك بأوامر الوحى سواء أوامر الله أو أوامر النبيﷺ، والوحي معصوم.

فلو أن الإنسان تُرك وشأنه ليحدد قوانيه وقواعده سيظل دائمًا فى دائرة الشك.

لذلك الإنسان يأخذ ما جاء فى الوحى وينفذه فورًا سواء فهمه أم لا لأنه يعلم أنه أمر من الخالق فكفانا الله هم التفكير فى هذه القواعد.

الآية التى خَصَصت الحديث

ذُكر في الحديث الغاية الأخيرة والنهائية التي ينتهى القتال عندها تمامًا ولذلك جاءت آية فى القرآن وخصصته وذكرت الغاية الأقرب.

ولكن الآية التي فى سورة التوبة ذكرت غاية أقرب وهي إعطاء الجزية.

هم أبوا عن الإسلام ولكنهم خضعوا للإسلام وعلامة خضوعهم للإسلام هو أن يدفعوا الجزية، فيقف القتال ونحكم البلاد ونرضى أن يبقوا على دينهم مقابل أن يدفعوا الجزية.

في بعض الأحاديث ذكر النبي ﷺ الغايتين

فكان أحيانًا يرسل السرايا، فيقاتلوهم حتى يكسروا شوكتهم ثم يكفوا عن القتال لأنهم بالأصل جاءوا لإنقاذ الناس وليس قتالهم.

من الذي تؤخذ منه الجزية

أول ما يتبادر أن الجزية لأهل الكتاب فقط، لكن ثبت أن النبي ﷺ أخذها من المجوس، وهم عبدة نار يعتقدون بوجود إلهين للخير والشر، وهم أشد من الوثنيين.

خلاف العلماء في الجزية:

المالكية: تؤخذ من الجميع. (وهذا القول الصحيح والله أعلم).

الأحناف: من الجميع إلا مشركي العرب.

الحنابلة والشافعية: من اليهود والنصارى والمجوس فقط.

سبب ترجيح قول المالكية:

1- المجوس كحال الوثنيين.
2- البلاد التي دخلها المسلمون كان فيها غير اليهود والنصارى.
3- لم يقتل المسلمون الوثنيين جميعًا، بل عاملوا الجميع معاملة واحدة.

معنى "الناس" في الحديث:

عند المالكية: كل الملل، ثم خصصت بالآية.

قول آخر: الوثنيون فقط، والحديث ليس مخصصًا، لأن الجزية لا تؤخذ من الوثنيين.

وحسابهم على الله تعالى

هناك أحد من الناس يقول: لا إله إلا الله لايعتقدها أو يصلى ويفعل الشعائر لكى لايأخذ أحد من ماله أو يتم قتله،فهذا يتحول لمنافق.

رد الفعل تجاهه: أنّ لنا بالظاهر والله يتولى السرائر.

التعامل عندنا كبشر:

نتعامل إما مسلم أو كافر، لكن المنافق فهو تعامله مع الله، إن أظهر كفره كأن سب الإسلام أو النبيﷺ فهو مرتد وأظهر الكفر ونُعامل ككافر.

أنواع الجهاد

1- جهاد الدفع: لا يُختلف فيه من العقلاء، فالعدو إذا هجم على بلاد المسلمين سنجاهده لندفعه عن بلاد المسلمين.

الحكم:- **كل من يقدر على الجهاد يجب عليه.**

2- جهاد الطلب:

يتحرج منه البعض والمفترض العكس؛ لأنه مقابل القتال لسويعات قليلة يدخل الكثير من الناس الجنة عندما يهتدوا للإسلام.

الحكم:- **فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن البقية إلا فى حالات معينة.**

متى يكون جهاد الطلب فرض عين:

عند التقاء الصفوف، فإذا التقت الصفوف لا يجوز لأى أحد من المتواجد في الصفوف أن يفر.

إذا اختار الإمام أناس بعينهم للقتال كأن يكون متخصص فى شئ ما.

هل انتشر الإسلام بحد السيف؟

إذا تحدثنا عن اعتناق الناس للإسلام:

فالإجابة لا لم ينتشر بحد السيف، فلا يُفيد أن يعتنق الناس الإسلام وهم مُكرهين عليه، ومن دخله دخله طواعية، ومن أراد الإبقاء على دينه يبقى عليه ويدفع الجزية.

أما عن السؤال هل انتشر حكم الإسلام فى البلاد بحد السيف:

فالإجابه نعم، فالسيف كان له دور فى أن يحكم المسلمون البلاد وانتشر كحكم وليس اعتناق ليُتاح للناس أن يدخلوا الإسلام في أمان وهذا عندما يرفض الحاكم الإسلام ودفع الجزية أيضًا.

متى ينتهى القتال

قال ﷺ (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا).

ما معنى «حتى»: كلمة حتى تستعمل لشيئين:- إما التعليل، أو للغاية

الصحيح أن كلمة حتى جاءت فى الحديث للغاية أى نقاتل حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله

فعندما يدخلوا فى الإسلام ينتهي القتال.

متى تثبت العصمة

قال ﷺ: "... حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ويقيموا الصلاة..."

هل تثبت العصمة بالشهادتين فقط أم لا بد من الصلاة والزكاة أيضًا؟

العصمة لها أصل واستمرار:

أصل عصمة الدماء والأموال: يثبت بالشهادتين فقط.

استمرار العصمة: بالثبات على أصل الإسلام والالتزام بالأحكام.

يبين الحديث أنه إذا لم يلتزم بالأحكام كالصلاة: يحق للحاكم أن يأمره بها، فإن صلى تركه، وإن أصر بعد الاستتابة ثلاثة أيام قُتل بأمر الإمام.

من يكفّر تارك الصلاة: يعتبره مرتدًا.

ومن لا يكفّره: يرى القتل حدًا، ويموت مسلمًا، كالقتل للقاتل أو الزاني المحصن.

وأيضًا مانع الزكاة: تُطلب منه، فإن رفض تؤخذ منه قسرًا، وقد يؤخذ منه أكثر كعقوبة لردع غيره.

إذا منعت طائفة الزكاة كما في عهد أبي بكر: يقاتلهم الإمام حتى يعودوا لتأديتها.

هذا مهم، لأن ترك بعض الشعائر قد يؤدي لترك أخرى، ويقاس على ذلك: منع الأذان، منع الحج، منع الصلاة في المساجد.

فلا يجوز التهاون في الشعائر الظاهرة، لتبقى كلمة الله هي العليا، ولأن غيابها يضر بالإسلام.

الحديث التاسع

عن أبي هريرة عبدالرحمن بن صخر رضي الله عنه (أَنَّهُ سَمِعَ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: ما نَهَيْتُكُمْ عنْه فَاجْتَنِبُوهُ، وَما أَمَرْتُكُمْ به فَافْعَلُوا منه ما اسْتَطَعْتُمْ، فإنَّما أَهْلَكَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ، كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُمْ علَى أَنْبِيَائِهِمْ).
متفق عليه.

ما نهيتكم عنه فاجتنبوه

المنهي عنه: واجب الاجتناب بالكلية، بخلاف الأمر الذي عُلّق على الاستطاعة، لأن الترك لا يكلّف شيئًا. كثير من المحرمات تُترك بلا جهد، وقليل منها يحتاج مجاهدة.

فعل المحرم أصعب من تركه، لذا لا يُعلّق على الاستطاعة، لكن لا بد من ضابط: النهي لا يأتي لمجرد عدم إرادة الفعل.

الدليل: حديث الشاب الذي طلب من النبي ﷺ الإذن بالزنا، فلم يأذن له رغم ادعائه عدم القدرة على كبح شهوته،
ولو أذن فُتح باب التحليل لكل من يزعم عدم القدرة.
أُغلق الباب، وكلما زادت المجاهدة زاد الأجر، والكل قادر على ترك الحرام: (لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها).

الاستثناء للضرورة: **الضرورة:** ما يهدد الحياة أو يسبب أذى شديدًا كضرب مبرح، سجن طويل، أو قتل. هنا تُباح المحرمات بقدر الضرورة.

فأتوا منه ما استطعتم

الواجب: فعل المستطاع، لأن كل مأمور فيه كلفة محدودة، فلا أحد يؤدي كل الواجبات والمستحبات.

أنواع الصبر:
1- على الطاعة حتى يؤديها.
2- عن المعصية حتى يمتنع عنها.
3- على الأقدار المؤلمة (أسهلها).

المستحبات مع الحرام قد تدخل النار، فتعظيم الحرام واجب.

الأفضل:
- ترك المعاصي أفضل من فعل المستحبات.
- الواجب أفضل من المستحب.
- ترك الحرام أهم من كثرة المستحبات مع الحرام.

الأصل في الأمر الوجوب

- الأصل في أمر النبي ﷺ الوجوب، ولا تعتبر أوامره في السنة مستحبة.
- أي أمر يُعد واجبًا إلا إذا جاء دليل يبين خلاف ذلك.
- أمر النبي ﷺ يحوّل الأمر إلى واجب وليس مستحبًا.

السنة حجة ولا يغني القرآن عنها، فهي توضح وتكمل الأوامر القرآنية.

تشريعات الأحكام في السنة:
1- إما تستقل بالتشريع.
2- أو تبيّن القرآن.
3- أو تخصص آيات في القرآن.

السنة مكملة للقرآن وواجبة الاتباع.

المشقة تجلب التيسير

قاعدة: حيث توجد المشقة، هناك دائمًا تيسير في الشريعة.

ضابط المشقة: ليست المشقة المعتادة في العبادة، بل ما يصعب تحمله ويضر الإنسان.

مثال: الصائم المريض أو من لا يستطيع السجود يُسمح له بالصيام قاعدًا أو ترك السجود لتجنب الضرر.

المشقة تختلف بين الناس حسب السن والقوة والجنس وغيرها.

الميسور لا يسقط بالمعسور

قاعدة: إذا وجدت مشقة في جزء من العبادة، لا يجوز إسقاط كل العبادة.

مثال 1: من لا يستطيع السجود يُصلي كامل الصلاة ثم يجلس أثناء السجود.

مثال 2: من يُصوم يومًا ويفطر يومًا لا يجوز له إفطار رمضان كله.

الرخصة تقتصر على الجزء المعسور فقط.

أهلكهم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم

الأنبياء معصومون في البلاغ، فلا يجوز الاختلاف عليهم.
- اختلاف الصحابة يوم الحديبية مثال على خطأ الاختلاف.
- عدم فهم أمر النبي ﷺ مشكلة الشخص نفسه، لا النبي.

صور الاختلاف على الأنبياء والأسئلة المنهي عنها:
- معارضة قول النبي برأيك.
- سؤال الأنبياء عن ما لم يُحرم سابقًا أو فرض جديد بسبب السؤال.
- إثارة الشبهات أو الأسئلة التي لا سبيل للعلم بها.
- أسئلة غير مناسبة للمبتدئين في العلم.
- أسئلة تدل على ضعف الانقياد.
- أسئلة لا يترتب عليها عمل.
- أسئلة لغرض إحراج المسئول أو إظهار جهله.

لا يجوز معارضة الأنبياء أو الحديث النبوي بالأفهام أو أقوال الرجال، ويُستحب الانقياد، مع إمكانية السؤال إذا كان مستوى السائل مناسبًا.